

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[383] وتقول الآية 96 من سورة آل عمران: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مَبَارَكًا). ومن المؤكد أن عبادة الله وإقامة أماكن العبادة لم تبدأ في زمن إبراهيم، بل كانت منذ أن خلق الإنسان على ظهر هذه الأرض. عبارة الآية الأولى من الآيات محل البحث يؤكد هذا المعنى، إذ تقول: (وَالَّذِي يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). فإبراهيم وإسماعيل قد رفعوا قواعد البيت التي كانت موجودة. وفي خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، وهي المسماة بالقاصة، يقول: "أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ سُبْحَانَهِ إِخْتِبَارَ الْوَسَلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ... فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ (عليه السلام) وَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوهُ أَعْطَاهُمْ زَحْوَهُ (1)... (2). القرائن القرآنية والروائية تؤيد أن الكعبة بنيت أولاً بيد آدم، ثم انهدمت في طوفان نوح، ثم أُعيد بناؤها على يد إبراهيم وإسماعيل (3). في الآيتين التاليتين يتضرع إبراهيم وإسماعيل إلى رب العالمين بخمسة طلبات هامة. وهذه الطلبات المقدسة حين الإشتغال بإعادة بناء الكعبة جامعة ودقيقة بحيث تشمل كل احتياجات الإنسان المادية والمعنوية، وتفصح عن عظمة هذين النبيين الكبيرين. قالوا: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ). ثم أضافا: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ). 1

– أي أن يطوفوا حوله. 2 – نهج البلاغة، صبحي صالح، ص 292 – (الخطبة القاصة). 3 – صاحب المنار، ينكر هذا الموضوع بالمرة، ويرى أن إبراهيم وإسماعيل أول من بنى الكعبة، وهذا ما لا تؤيده الروايات ولا عبارات القرآن الكريم.